

إشكالية تدريس العروض في الثانويات الجزائرية
بين صعوبة المصطلح واضطراب المقاربة.
(كتاب السنة الثانية ثانوي للشعب الأدبية أنموذجا).

ميهوبي بوعلام

قسم اللغة العربية

جامعة الدكتور يحيى فارس بالمدينة

ملخص:

نهدف من خلال هذا المقال إلى تسليط شيء من الضوء على كيفية تدريس العروض في الثانويات الجزائرية، وركزنا على صعوبة بعض المصطلحات العروضية، مع ما للمصطلح من أهمية في فهم العلم والتعلق به أو النفور منه، ولذلك فصلنا بعض الشيء في الحديث عن المصطلح عموما والمصطلح العروضي خصوصا. كما أشرنا إلى الاضطراب الحاصل في تدريس هذا الرافد اللغوي؛ من خلال عدم الالتزام بمبدأ المقاربة النصية كما ورد في توجيهات الكتاب الخاصة بالمقاربة بالكفاءات، واتخذنا كتاب السنة الثانية ثانوي للشعب الأدبية (الآداب والفلسفة واللغات الأجنبية) أنموذجا للوقوف على واقع تدريس هذا العلم. وقد تم معالجة الموضوع من خلال العناصر الآتية:

Abstract:

Through this article we intend to shed the light on ways of prosody teaching in algerian high schools. We concentrated our work on the difficulty of some prosodic terms; with all the importance that the term entails in understanding the science and getting attached to it or escaping it.

We gave some details in speaking about the term in general, and the prosodic terms specifically. We also spoke about the troubles occurring in teaching this specialty, trough the non-

compliance with the principle of comparison between texts as it is shown in the directions of the book related to the competency-based approach. We took as a reference of our work the book of the second year of secondary education (Arts and Philosophy and Foreign Languages) in order to have a clear overview of the reality of teaching this science.

1- المصطلح:

1-1- تعريف المصطلح:

1-1-1- التعريف اللغوي:

ورد في المعجم الوجيز في جذر صلح: « صلح الشيء صلاحاً: كان نافعا أو مناسباً، صلح صلاحاً: زال عنه الفساد، اصطلاح القوم: زال ما بينهم من خلاف، الاصطلاح: اتفاق طائفة على شيء مخصوص، اتفاق في العلوم والفنون على لفظ أو رمز لأداء مدلول خاص، ويقال: لكل علم اصطلاحاته. والمصطلح: لفظ أو رمز يتفق عليه في العلوم والفنون للدلالة على أداء معنى معين. » (1)

وجاء في المعجم الوسيط في باب صلح: « اصطلاح القوم: زال ما بينهم من خلاف، واصطلحوا على الأمر: تعارفوا عليه واتفقوا، تصالحو: اصطلحوا، والاصطلاح: مصدر اصطلاح: اتفاق طائفة على شيء مخصوص، ولكل علم مصطلحاته. » (2)

1-1-2- التعريف الاصطلاحي:

كثيراً ما يتداخل مفهوم علم المصطلح مع مفاهيم أخرى، مثل علم المنطق وعلم الوجود. وقد برر فوستر هذا التداخل؛ بكون البحث المصطلحي يتخذ من المفاهيم نقطة بدايته، وبالتالي يعتمد على العلوم التي تضبط العلاقات بين المفاهيم و بين الأشياء أي على علم المنطق، وعلم الوجود، كما يشهد تداخلاً مع علوم اللغة مثل مختلف فروع اللسانيات؛ لأن المصطلحات جزء لا يتجزأ من معجم اللغة في شموليته، وبناء المصطلحات يخضع في كثير من الأحيان للقواعد

الصرفية والتركيبية التي يملها النسق العام للغة. (3) وهذا التداخل أدى إلى تعدد التعريفات بتعدد زوايا نظر المعرفين، ففوسترمثلا يعرفه بأنه العلم الذي "يهتم بدراسة أنساق المفاهيم وجدولتها في أصناف منطقية" أما روندو فيعرفه بقوله "المصطلحية علم يتخذ موضوعه طابعا لسانيا" وقد سعت المنظمة العالمية للمقايسة "إيزو" إلى وضع تعريف شامل يجمع مختلف وجهات النظر فقالت في توصيتها رقم 1087 بأنه: "الدراسة العلمية للمفاهيم والمصطلحات المستعملة في اللغات الخاصة".

أما عند اللسانيين العرب فنجد عبد السلام المسدي يحاول الجمع بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي فيقول: "لفظة المصطلح ذاتها في مصفوفة المشتقات اسم مفعول مستخرج من فعل متعدّ إلى مفعولين، فيكون من حقها أن تحمل معها مفعولها فتقول: المصطلحات هي مجموعة الألفاظ التي يصطلح بها أهل علم من العلوم على متصوراتهم الذهنية الخاصة بالحقل المعرفي الذي يشغلون فيه، وينهضون بأعبائه، ويأتمنهم الناس عليه، ولا يحق لأحد أن يتداولها بمجرد إضمار النية بأنها مصطلحات في ذلك الفن إلا إذا طابق بين ما ينشده من دلالة لها وما حدده أهل ذلك الاختصاص لها من مقاصد تطابقا تاما (4)

1-2- نشأة علم المصطلح:

مما لا شك فيه أن ظاهرة الاصطلاح بما هي أسماء لمفاهيم معرفية، أو تقنية، أو فنية، أو مهنية قديمة متصلة بالأنشطة النظرية والتطبيقية للإنسان، وقد تجلت مظاهرها مع وجود اللغات الطبيعية، ولكن العناية بها، وبأبعادها المعرفية والاقتصادية والاجتماعية. تجلى بشكل واضح في العصر الحديث؛ نتيجة التوسع العلمي، وتطور العلاقات الاقتصادية والسياسية والفكرية بين مختلف المجتمعات، خاصة في النصف الأول من القرن الثامن عشر على يد الألماني كريستيان كوتفريد شوتز 1747- 1832 لكنه لم يأخذ طابعه النسقي إلا مع المفكر الإنجليزي ويليام 1887. (5)

وقد تنامي الاهتمام بها في العصر الحاضر، حتى انتهى إلى وضع علم خاص بها يعرف بها هو علم المصطلح العام الذي وضع أسسه أويجن غوستري في المحاضرات التي ألقاها في معهد علم اللغة التابع لجامعة فيينا بين سنتي 1972 و1974 ثم ظهرت في كتاب عنوانه: "مدخل إلى علم المصطلح العام وعلم صناعة معجمات المصطلحات. وفي سنة 1971 كان قد تأسس مركز المعلومات الدولي للمصطلحية. واللغويون المحدثون يفرقون بين المصطلحية وعلم المصطلح؛ فالمصطلحية مجموعة المصطلحات المستخدمة في فرع من فروع المعرفة المختلفة، وعلم المصطلح يقوم منها مقام المنظر الأصولي الضابط لقواعد النشأة والسيروية.⁽⁶⁾

1- 2- 1- ظروف نشأة المصطلح العروضي العربي:

- يعتبر المصطلح العلمي الحجر الأساس لأي علم من العلوم، فلا يقوم العلم ويتأسس إلا إذا تضمن بنكا من المصطلحات إن صح التعبير، وقد أدرك العرب منذ القرن الثاني الهجري - وهو القرن الذي شهد بداية التأسيس للدرس اللغوي العربي وسائر العلوم الأخرى، بعد انفتاح المجتمع العربي على ثقافات شعوب أخرى بفعل الفتح الإسلامي - أهمية المصطلح العلمي، ومن العلوم اللغوية التي عرفت النور في هذا العصر علم العروض الذي وضع أسسه وأوجد مصطلحاته الخليل بن أحمد الفراهيدي (100هـ - 170 أو 175هـ) وقد استنبط مصطلحاته من البيئة العربية البدوية وطبيعتها من أمثال البيت العروض الضرب الزحاف الوتد السبب الحشو...إلخ. وهذا ما يجعل فهم معنى هذه المصطلحات عسيرا على من لم يعرف البيئة العربية البدوية الصحراوية القاسية.

و يرد الدكتور محمد مفتاح على من حكم على عروض الخليل بالبداءة، بأن العلوم العربية «خاضعة للمكونات العلمية متحركة فيها الأهداف المقصودة فهناك حضور للرياضيات أعدادا وأشكالا، وهناك تأثير الموسيقى في الكائنات الحية بالتنمية والتشيط والتربية والتهديب وعلى هذا فإن العروض ليس قطرة من بحر من تناسب الأصوات الموسيقية لأن العرب لم ينتحلوا علما ولا عرفوا

صناعة، وكانت البداوة أغلب نحلهم، بحسب رأي ابن خلدون الذي تبعه بعض المستشرقين ومن قلدتهم من بعض المعاصرين الذين اتخذوا أدلتهم من أن مصطلحات الخليل البدوية، غافلين عن الخلفيات الرياضية المنطقية الموسيقية التي تأسس العروض عليها؛ إنها أطروحة تؤدي إلى عرقية مقبلة لأنها تعني: العرب بداءة، ولغة قوم تعكس شخصيتهم وثقافتهم وحضارتهم؛ وإذن، فإن حضارة العرب بدوية.»⁽⁷⁾

ولا يخفى على دارس العروض أن أهداف الخليل من وضع أسس هذا العلم كانت علمية خالصة- وقد سبقت حولها روايات كثيرة لا يتسع المجال لذكرها- تتلخص في التأسيس النظري لعلم اعتاد الشعراء العرب على النظم على منواله دون أن يكون لهم علم بمصطلحاته، حتى لقد قيل: قد كان نظم الوري صحيحا من قبل أن يعرف الخليل⁽⁸⁾

وقد ولد هذا العلم في شكل شبه متكامل منذ أخرجه واضعه الأول الخليل بن أحمد، وهذا خلاف العلوم الأخرى كالنحو والتصريف وعلوم البلاغة واللغة التي استحدثت من أصول يسيرة ثم نمت وتكاملت عصرا بعد عصر، حتى بلغت الكمال في عصور شتى⁽⁹⁾

وهذا ما يمكن الاصطلاح عليه بالعروض العلمي، كما هو الحال في النحو العلمي والبلاغة العلمية و الصرف العلمي.

1- 2- 2- بين علم العروض والعروض التعليمي:

كما لا يخفى على الباحثين والدارسين أن نشأة العلم بحدوده ومصطلحاته أسبق من تعليمه، وهذا ينطبق على العلوم اللغوية العربية، فالمؤسسون الأوائل للعلوم وضعوا أسس العلوم، وضبطوا مصطلحاتها، ولما استقامت هذه العلوم واكتملت، واحتاجوا إلى تعليمها جاءت الشروح والمختصرات والمنظومات لغايات تعليمية تتناسب مع قدرات المتعلمين المبتدئين الذين قد يعجزون أو ينفرون من

أخذ العلوم من مصادرها الأصلية، ولهذه الاعتبارات كانت الكتب المخصصة لتعليم العلوم اللغوية تمتاز بالبساطة واليسر، وتجنب المصطلحات الصعبة، كما هو الحال في النحو والصرف والبلاغة، غير أن الأمر مختلف تماما فيما يتعلق بالعروض، حيث ظل هذا العلم يدرس اعتمادا على مصادره الأولى، وبمصطلحاته الصعبة، وكان هذا من أسباب النفور منه، لأن « التماس علمي العروض والقافية من كتب القدامى من المؤلفين والباحثين يتطلب جهدا غير يسير، وربما عجز الدارس عن إدراك ما ينشد فيها، فيترك هذا العلم من أول الطريق، ذلك لما تتسم به معظم هذه الكتب... من إبهام وغموض وتعقيد، بحيث تحتاج إلى ما يُبَسِّطُها ويوضح أحاجيها وألغازها. »⁽¹⁰⁾

2- إشكالية تدريس العروض في كتاب السنة الثانية ثانوي في ظل صعوبة المصطلح وغموضه أحيانا:

لا يخفى على كل دارس للغة أو مشغل بالنقد أو التعليم أن للمصطلح أهمية بالغة في فهم العلم والتعامل معه، والتواصل مع المتلقي أو المتعلم وهذا ما يؤكد عبد السلام المسدي في قوله:

«... للمصطلحات تأثيرات نادرة ما يقدر الناس أبعادها ويولونها ما تستحقه من الاهتمام. وتتصل تلك التأثيرات بالجوانب الفكرية العامة، لأن المصطلح هو صورة مكثفة للعلاقة العضوية القائمة بين العقل واللغة، وتتصل أيضا بالظواهر المعرفية، لأن المصطلحات في كل علم من العلوم هي بمثابة النواة المركزية التي يمتد بها مجال الإشعاع المعرفي، ويترسخ بها الاستقطاب الفكري؛ ولذلك كانت المصطلحات أولى قنوات الاتصال بين مجالات العلوم البشرية.»⁽¹¹⁾

ولهذا السبب كان من الضروري الولوج إلى درس العروض في المراحل التعليمية الأولى من باب المصطلحات العامة المألوفة، والتركيز على الجانب التدوقي لموسيقى الشعر العربي، وإرجاء الإحاطة بباقي مصطلحاته إلى مرحلة الدراسة الجامعية لمن يتخصص في علوم اللغة العربية، وبهذا نتجنب إشكالية صعوبة المصطلح العروضي الذي كان ربما في كثير من الأحيان سببا في تنفير المتعلمين

من هذا العلم، وإصدار أحكام مسبقة عليه. فسبب النفور راجع إلى طريقة تدريسه كما يؤكد الكثير من الباحثين « فهو علم تكثر مصطلحاته.. وهي فيما ألف القدماء تُقدَّم في صدد الدراسة وقبل الشروع فيها الأمر الذي يضع الطالب أمام مصطلحات كثيرة متشابهة لا يُشخَّصُ مداليلها، ولا مواطن حدوثها، ليربط بين المصطلح ومكانه ويدرك حاجته إليه وفائدته منه، إضافة إلى كثرة المصطلحات والأسماء مقدمة في صدر الدراسة.. فإنها مصطلحات وأسماء لمسميات الغالب فيها الاعتبار، والتسمية من غير ملحظ مدرك فليس هناك ربط مستشعر بين الأسماء والمسميات كما هو الحال في بقية علوم العربية »⁽¹²⁾

ومن خلال تتبع المصطلح العروضي في كتاب السنة الثانية ثانوي لشعبة الآداب والفلسفة واللغات خرجنا بالملاحظات الآتية:

- في درس المصطلحات العروضية الذي افتتحت به دروس العروض في هذا الكتاب ركز فيها على المصطلحات الأساسية المعروفة: القصيدة، البيت، المصراعان أو الشطران، العروض، الضرب، الحشو، القافية، الوزن والبحر، التفعيلة، السبب بنوعيه: الخفيف، الثقيل، الوتد بنوعيه: المجموع، المفروق، الفاصلة الصغرى، الفاصلة الكبرى، الزحاف والعة، أنواع البيت: التام، المجزوء، المنهوك، المدوّر.

- فبعض هذه المصطلحات كان الأجدر أن تدرس في السنة الأولى؛ لأن دراسة العلم ينبغي أن ندخله من مصطلحاته المشهورة، وإذا أشير إليها في السنة الموالية، فمن باب التذكير لربط المعارف الجديدة بالسابقة.

- عدم التمييز بين بعض المصطلحات مثل البحر والوزن فيظن التلميذ أنهما مترادفان، فكان يستحسن الإشارة إلى سبب التسمية، لماذا سمي بحراً؟ وقد أشار الأستاذ مصطفى حركات إلى ذلك حين قال: « كثيرا ما أسأل الطلبة والأساتذة حتى المتخصصين في العروض عن مفهوم البحر فألتقى أجوبة بعضها غامض مثل: البحر هو الوزن الذي تبنى عليه القصيدة، وبعضها خاطئ: البحر

مجموعة من التفاعيل. لقد ساد في ذهن الكثير أن البحر هو سلسلة التفاعيل المرفقة به وكأنهم يقرون معادلات من هذا النوع: الوافر= مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن. والمنسرح= مستفعلن مفعولات مستفعلن... وأمام هذا الغموض فإننا نعطي التوضيحات الآتية:

(أ) البحر لا يقتصر على وزن ولا يستطيع أن يكون مجرد سلسلة من التفاعيل... ومن المعروف أن البحر وقد سمي كذلك لسعته، يتحكم في عشرات بل مئات السلاسل الوزنية.

(ب) البحر ليس نموذج القصيدة...» (3 1)

فهذا غيظ من فيض على عدم ضبط المصطلحات بدقة مما ينتج عنه اتساع المفاهيم، فمفهوم البحر خاص بالعروض، في حين أن مصطلح الوزن مستعمل في العروض والصرف. ومفهوم البحر أوسع في العروض؛ لأن البحر له نماذج متعددة لكل نموذج منه وزن، فنقول وزن الطويل الأول، ووزن الطويل الثاني... إلخ فهذا الإشكال المطروح يعزز فرضية تجنيب التلاميذ في سني التعليم الأولى إشكالية غموض المصطلحات بالتركيز على جانب التذوق وإكساب الأذن الموسيقية، قبل أي شيء آخر.

- صعوبة بعض المصطلحات وغموضها والتباسها:

ومن أمثلة ذلك مبحث حركات القافية: حيث ذكرت المصطلحات معرفة في خلاصة الكتاب المدرسي على النحو الآتي:

المجرى: وهي حركة الروي المطلق كفتحة الميم في صيماً، وكسرة اللام في على الجبل.

النَّفَادُ: مثل فتحة الهاء في شعارها، وضمته في "شِعَارُهُ".

الحَذْوُ: وهي حركة الحرف الذي قبل الردف كفتحة القاف في كلمة القاضي وضمّة السين في رسول وكسرة الميم من جميل.

الإشباع: وهو حركة الدخيل مثل كسرة القاف في يعاقبه.

الرس: وهو حركة ما قبل التأسيس مثل فتحة العين في المعابد.

التوجيه: وهو حركة ما قبل الروي المقيد مثل فتحة الراء في العرب. وبالنظر للتجربة التي عشناها في مجال التعليم، نرى أن هذا المبحث حافل بالمصطلحات الصعبة التي يتعذر على التلميذ فهمها، ويغذي في ذهنه فكرة صعوبة علم العروض وتعقيده كما يرى من يروج لهذه الفكرة، وخاصة أنها في كثير من الأحيان تأتي غير مرتبطة بسياق نص شعري مدروس، كما تنص على ذلك المقاربة النصية المعمول بها في المقاربة بالكفاءات، ومما يزيد من صعوبة فهم هذه المصطلحات تداخل مفاهيم بعضها، فمصطلح الإشباع الذي هو حركة حرف الدخيل قد يلتبس في ذهن التلميذ بعملية إشباع الروي الذي يتولد منه مصطلح الوصل، أو إشباع هاء الوصل التي يتولد منها مصطلح الخروج.

2- 1- عدم الالتزام بالمقاربة النصية:

- أهم ملاحظة لاحظناها في مباحث العروض في كتاب السنة الثانية لشعبة الآداب والفلسفة واللغات هي عدم احترام المقاربة النصية في تدريس العروض، كما تنص عليه القرارات المتصلة بتدريس العلوم اللغوية في ظل المقاربة بالكفاءات، التي تعتبر نشاط العروض رافدا من روافد النص الأدبي الشعري، و دليل ذلك برمجة أول بحر في كتاب السنة الثانية وهو بحر المتقارب ص93 مع سند نثري وهو تقسيم مخلوقات العالم للجاحظ. (14)

ومن هنا لم يعد درس العروض رافدا للنص الأدبي كما أشير إلى ذلك، وأصبح مفهوم المقاربة النصية مجرد ادعاء لم يصدقه الإجراء العملي لسير الأنشطة. وحتى البحور الأخرى المبرمجة مع سندات شعرية لم تطبق عليها المقاربة النصية؛ لأن تلك النصوص كانت موزونة على بحور شعرية أخرى غير تلك المقررة، فبحر الرجز مثلا في ص136 برمج رافدا لقصيدة أفاضل الناس أغراض لدى الزمن للمتنبى وهي قصيدة من بحر البسيط وليست من الرجز. وقد استعمل البيت الآتي في التحليل:

قد ذهب الصيَّادُ عنكَ فابشري لا بد يوما أن تُصادي فاصبري

بينما قصيدة أفاضل الناس للمتنبى تبدأ بهذا الشكل - وهي من البسيط - :

أفاضِلُ النَّاسِ أغراضٌ لدى الرِّمَنِ يخلو منَ الهمِّ أخلاهُم من الفِطَنِ
كما برمج بحر المنسرح في ص155 مع قصيدة في هجاء عمران بن حطان
لبكر بن حماد وهي من البسيط كذلك.

حيث جاء البيت النموذجي للتحليل كما يلي:
لا تَغْبِطِ المرءَ أن يُقالَ لَهُ أضحى فلانٌ لِسِنَّه حَكَمًا
بينما البيت الأول من قصيدة بكر بن حماد التي هي من البسيط كما يلي:
قل لابن ملجم والأقدارُ غالبَةٌ هَدَمْتَ ويلك للإسلام أركانًا
وبرمج بحر السريع في ص177 مع قصيدة استرجعتُ تلمسان لأبي حمو موسى
الزياني، وهي من بحر الطويل.

حيث اتخذ البيت الآتي كنموذج تحليلي لوزن المنسرح:
ما أحسن العفو من القادر لا سيما عن غير ذي ناصر
في حين أن أبي حمو موسى الزياني وظف الطويل وهذا البيت الأول من قصيدته:
وجُبْتُ الفياضَ بِلَدَةٍ بَعْدَ بِلَدَةٍ وطَوَّعْتُ فيها كلَّ باغٍ وباغِم
وبرمج بحر الرمل في ص198 مع قصيدة وصف الجبل لابن خفاجة وهي من
الطويل كذلك.

حيث اتخذ البيت الآتي أنموذجاً للتحليل على بحر الرمل:
إِنِّي مَرَّقْتُ أَكْفانَ الدُّجَى إِنِّي هَدَمْتُ جدرانَ الوهنِ
بينما قصيدة ابن خفاجة التي هي من الطويل تبدأ كما يلي:
وَأَرَعْنَ طَمَاحَ الدُّؤَابَةِ بِادْخِ يُطَاوِلُ أَعْنَانَ السَّمَاءِ بِغَارِبِ
كما برمج بحر المديد في ص218 مع قصيدة نكبة الأندلس لأبي البقاء
الرندي وهي من البسيط.

حيث اتخذ البيت الآتي مثالا للتحليل على بحر المديد:
طالما احلّو لي معاشي وطالما طالما سحبتُ خلفي الثيابا
بينما قصيدة نكبة الأندلس لأبي البقاء الرندي التي من البسيط تبدأ كما يلي:
لكل شيء إذا ما تم نقصانُ فلا يُغَرُّ بطيب العيش إنسانُ

وحبذا لو كان البحر المبرمج معها هو البسيط الذي يناسب كثيرا البكاء على مجد العرب الضائع في الأندلس، والألم الذي عاشه الشاعر، ومن خلاله يتعرف التلميذ أن الجانب الموسيقى مظهر من مظاهر الانسجام النصي، لأن البحور الشعرية تتناسب مع الموضوعات والأغراض كما يرى سليمان البستاني في مقدمة ترجمة إلياذة هوميروس.

وبرمج بحر المتدارك في ص 238 رافدا لقصيدة "هل درى ظبي الحمى أن قد حمى" لابن سهل الأندلسي وهي من بحر الرمل. (15)¹ واتخذ البيت الآتي أنموذجا للتحليل:

وقريبا تكبرُ يا أُملي ويعود الصيفُ ولا تلعبِ
وتفعيلاته جاءت بزحافاتهِ وعلله على النحو الآتي:
فَعِلُنْ فَعِلُنْ فَعِلُنْ فَعِلُنْ فَعِلُنْ فَعِلُنْ فَعِلُنْ فَعِلُنْ

بينما موشح ابن سهل الأندلسي من بحر الرمل، وهذا بيته الأول:
هل درى ظبي الحمى أن قد حمى قلب صَبَّ حلَّه عن مكْنَسٍ؟
وتفعيلات هذا البيت جاءت هكذا:

فاعلاتن فاعلاتن فاعلا فاعلاتن فاعلاتن فاعلا
بحذف السبب من آخر تفعيلتي العروض والضرب وتحول إلى فاعلن.

فلو برمج بحر الرمل مع هذا الموشح لعرف التلميذ الجو الإيقاعي الجميل لهذا البحر الذي ناسبت تفعيلاته كثيرا موضوع الموشح الذي يجمع بين الشوق والألم المتصل بالغزل، وعلى البحر ذاته نجد الكثير من الموشحات على غرار موشح جادك الغيث إذا الغيث همى يازمان الوصل بالأندلسي للسان الدين بن الخطيب الغرناطي.

فكيف ندعي بعد كل هذه الأدلة أننا نطبق المقاربة النصية في تدريس العلوم اللغوية ومن ضمنها علم العروض؟ قد نجد الالتزام التام بهذه المقاربة في تدريس النحو والصرف والبلاغة، على أساس أن جل العناوين المبرمجة أمثلتها مستخرجة

من الكتاب المدرسي إلا في حالات نادرة جداً، أما في تدريس العروض فتبقى المقاربة النصية مجرد ادعاء، لا يسنده الواقع الإجرائي لتعليمية العروض.

- نقطة أخرى مهمة هي إغفال القراءة التذوقية لأغلب النصوص الشعرية، ففي الوقت الذي برمجت فيه البحور الشعرية المقررة مع نصوص لا علاقة لها بهذا البحر، لم تتضمن أسئلة البناء اللغوي والفني أي سؤال يحفز التلميذ والأستاذ معاً على التعرف على وزن القصيدة وتذوق موسيقى النص ومعرفة مدى تجاوبها مع الحالة النفسية للشاعر وللموضوع، على أساس أن اختيار الموسيقى المناسبة مظهر من مظاهر الانسجام في النص.

3- اقتراحات:

- من الاقتراحات التي نراها ضرورية ومفيدة من الناحية التعليمية التعليمية، الاكتفاء في مثل هذه المرحلة من تعليمية العروض بالمصطلحات الوظيفية الرئيسة المهمة، كالقصيدة والمقطوعة والبيت والصدر والعجز... وإرجاء باقي المصطلحات التي نراها صعبة كأسماء بعض الزحافات والعلل إلى المرحلة الجامعية حيث يدرس الطالب علم العروض لا تعليمية العروض.

- إعطاء المصطلحات في شكل وظيفي، وعدم ذكرها دفعة واحدة؛ بل نحاول ربط المصطلح بالظاهرة المكتشفة أثناء التحليل العروضي (التقطيع)، بأن يسمى المصطلح بعد اكتشافه في وزن القصيدة، ونتجنب بالتالي تكديس المعلومات النظرية وتخزين المعارف.

وهذا ما يتضمنه مفهوم المقاربة النصية المتبنى في المقاربة بالكفاءات مع ما جاء في التوصيات الواردة في الكتاب المدرسي، والمنهاج والوثيقة المرافقة في كيفية تدريس مادة العروض وموسيقى الشعر. أما أن تُسرد بعض المصطلحات الصعبة في شكل نظري، فهذا يزيد من إشكالية تدريس العروض، ويجعلها صعبة. وما الفائدة من معرفة مصطلحات لا نستعملها إلا نادراً، وقد لا نستعملها أبداً. وحتى في الامتحانات يتجنب الأسئلة التي تتضمن مثل هذه المصطلحات الصعبة. كما أن سرد النظريات والمصطلحات، بعيداً عن سياقاتها النصية يتنافى ومبدأ

المقاربة النصية الذي على أساسه أصبحت تدرس الظواهر اللغوية: (النحوية والبلاغية والعروضية). وهذا يُدَكِّرُنَا بالطرائق التقليدية التي تعتمد تخزين المعلومات واستعراضها عند الحاجة.

- جعل العروض رافدا حقيقيا من روافد النص الأدبي الشعري، ومن هنا يجب إعادة النظر في اختيار النصوص الشعرية في الكتاب المدرسي لتتناسب مع مقررات العروض؛ بأن تكون القصيدة من وزن البحر المدروس.

- التركيز على إكساب الأذن الموسيقية في المراحل التعليمية الأولى قبل التركيز على معرفة المصطلحات؛ لأن الهدف من العروض هو تذوق موسيقى الشعر، وهذا ما يؤكد عليه الكثير من المهتمين بالعروض وموسيقى الشعر من أمثال الأستاذ الشاعر ناصر لوحيشي الذي يؤكد على جانب التغني بالشعر أساسا لمعرفة موسيقى الشعر ودراسة العروض. والأمر ذاته الذي اقترحه نهاد الموسى بما يعرف بالطريقة الكلية لمعرفة الأوزان الشعرية؛ أي الانطلاق من معرفة الوزن إلى الإجراءات العملية التجزيئية المتمثلة في التقطيع.

- إعادة النظر في انتقاء النصوص الشعرية المدروسة، وتوزيع مواضيع العروض، باختيار النصوص التي تجمع بين المتعة الفنية و الحاجة اللغوية، وبرمجة كل نص مع ما يتوافق معه من روافد لغوية بشكل عام وعروضية بشكل خاص.

هوامش:

(¹) مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، مطابع الدار السندسية، الطبعة الأولى، جمهورية مصر العربية 1400هـ 1980م، ص368.

(²) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مطابع الدار السندسية، الجزء الأول الطبعة الثالثة، جمهورية مصر العربية، 1405هـ 1985م ص540

(³) ينظر كتاب علم المصطلح لطلبة كليات الطب والعلوم الصحية ص31

(⁴) عبد السلام المسدي الأدب وخطاب النقد ص 146

- (⁵) مجموعة من الباحثين بإشراف الأستاذ الدكتور محمد هيثم الخياط، علم المصطلح لطلبة كليات الطب والعلوم الصحية ص30 رعاية المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية للشرق الأوسط الطبع العربية أكاديميكا ناشيونال بيروت 2007.
- (⁶) د محمود أحمد نحلة ، ف المصطلح النحوي، الاسم والصفة في النحو العربي والدراسات الأوروبية ص1 دار المعرفة الجامعية الإسكندرية مصر 1994.
- (⁷) د محمد مفتاح، مفاهيم موسعة لنظرية شعرية- اللغة الموسيقى- الحركة الجزء الأول مبادئ ومسارات، ص275، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب، الطبعة الأولى 2010
- (⁸) تقديم الدكتور عبد الرزاق محي الدين لكتاب الدكتور صفاء خلوصي فن التقطيع الشعري والقافية الجزء الأول ص11 مطبعة الزعيم بغداد 1962،
- (⁹) مقدمة كمال إبراهيم لكتاب الدكتور صفاء خلوصي فن التقطيع الشعري والقافية الجزء الأول مطبعة الزعيم بغداد 1962، ص4
- (¹⁰) كمال إبراهيم مقدمة فن التقطيع الشعري والقافية لصفاء خلوصي ص3
- (¹¹) المسدي عبد السلام، المصطلح النقدي، ص26، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس 1994،
- (¹²) عبد الرزاق محي الدين تقديم كتاب فن التقطيع الشعري لصفاء خلوصي ص14
- (¹³) مصطفى حركات نظرية الوزن في الشعر العربي وعروضه، ص81 دار الآفاق الأبيار الجزائر 2005.
- (¹⁴) ينظر كتاب الجديد في الأدب والنصوص والمطالعة الموجهة للسنة الثانية من التعليم الثانوي لشعبي الآداب والفلسفة واللغات الأجنبية من ص87 إلى ص93.
- (¹⁵) كان من الأجدر أن يبرمج بحر الرمل مع هذا الموشح الأندلسي، ويعود التلاميذ على معرفة دور البحور الخفيفة في موسيقى الموشحات الأندلسية، ولا مانع أن يتم التنسيق بين أستاذ الموسيقى وأستاذ اللغة العربية في معرفة أسرار العروض وعلاقته بالموسيقى.